الجمعة ١٤٢٨/١٠/٢٨

الجزء السابع

من دلائل النبوة -٣

إن الحمد لله نحمده ... أما بعد

فمعاشر المسلمين تقدم في الجمعة الماضية كلام عن دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. واستكمالا للحديث يقال:

يظن كثير من الناس أن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة على ما كان متعلقا ببعض أفعاله كتكثير الماء والطعام، وما كان من هذا القبيل، وهذا فهم قاصر فباب الدلائل واسع، ولذلك إن مما يجهله كثير من الناس من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بانقياد الناس له. فقد ذكر أهل العلم أن ذلك من عظيم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، وبيان ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان منشأه في مكة، ومن المعلوم أن قريشا كانت لها الزعامة والسيادة عليها، وكانت قبائل العرب ترد إلى مكة حاجة أو للتجارة، وكانت تلك القبائل قد اتخذت لها أصناما تعبدها وتتمسح بها وتستقسم بالأزلام عندها، تعظم تلك الأصنام وتعظم من عظمها، ولا يجرؤ أحد على المساس بها حسا أو معنى، ومن تعظيمهم لأصنامهم الإنفاق على خدمتها واشتقاق بعض أسمائها من أسماء الله الحسنى. ومن تعظيمهم لها أيضا تخليدهم لها في قصائدهم فقد فاخر بها شعراؤهم. ومع ذلك فقد كان بين تلك القبائل ثأرات ونزاعات، ولا تكاد حرب تضع أوزارها إلا أوقدت نار حرب أخرى. ومما زاد في ذلك شدة أنفة العرب وعظيم حميتهم.

شاهد المقال: أنه مع تلك الظروف والأحوال والصفات أتى كثير من أولئك منقادين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فتركوا ما كانوا عليه من العقائد الباطلة؛ فلم يتركوا عبادة أصنامهم فحسب بل تبرؤا منها، ثم كروا عليها هدما وتكسيرا فجعلوها أثرا بعد عين، وأصبحوا يفاخرون بالبراءة منها بعد أن كانوا يفاخرون بالولاء لها.

ومن المعلوم معاشر المسلمين أنه يشق على المرء أن يترك أو يتحول عن عادة نشأ عليها وبخاصة إذا كانت تلك العادة مثار استحسان عند مجتمعه، فكيف بعقيدة الأصنام التي توارثها كابرا عن كابر، ولكن كل ذلك كان بتوفيق الله تعالى وانقاد كثير من أولئك العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك من عظيم دلائل نبوته وصدق دعوته صلى الله عليه وسلم.

معاشر المسلمين: ومن الفوائد المأخوذة من هذه الدلالة النبوية؛ أن البر ما اطمأنت إليه النفوس كما جاء في الحديث، وفي هذه الدلالة مثال واضح جلي على هذا، فما ترك أولئك أصنامهم وثاراتهم، وما انقلبت عداوتهم

إلى محبة وإخاء إلا لأن نفوسهم اطمأنت إلى ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من أمور البر القولية والفعلية، وأعظم ذلك شأن التوحيد لله تعالى، وإفراده بالعبادة فضلا عن تأثير الصلاة فيهم وسماع القرآن وغير ذلك من الخيرات. ومن الفوائد أيضا: أن على الداعية أن يعنى بإيقاظ فِطَر المدعوين ومخاطبتهم بتعظيم شأن الله تعالى في نفوسهم، وتعميق سعة رحمة الله تعالى وعظيم عفوه، وكذا في المقابل عدم تأمينهم من مكر الله تعالى، فذلك وغيره قد سلكه النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس فتيقظت فطرهم ونفضوا عن ثيابهم غبار الجهل والإصرار وأقبلوا إليه مطواعين، فحري بدعاة الخير سلوك هذا المسلك دون استبطاء لاستجابة المدعوين.

معاشر المسلمين: ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يكن قومه أهل علم بل كانوا في جاهلية جهلاء، ومع ذلك فقد أتاهم صلى الله عليه وسلم بما تقطع بصحته العقول وتطمئن له الفطر والقلوب، فانقادوا له وأطاعوه، وتألفت قلوبهم على محبته وتقديره وتقديمه وتأليف القلوب ليس بالأمر الهين "لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم" فكان هذا الأمر من أعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم، أقول قولي هذا وأستغفر الله ...

الخطبة الثانية

معاشر المسلمين: ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم -كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -ما كان من سيرته الشريفة وعظيم أخلاقه وجميل شمائله صلى الله عليه وسلم، فصدق حديثه ووفاء وعده وأداه أمانته وبعده عن سيء القول والفعل ورحمته بهم ومراعاته لأحوالهم بقصد كسب قلوبهم وكرمه في عطائه لهم، كل ذلك وغيره دليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ومما يزيد ذلك تأكيدا أن طيب أخلاقه وسيرته كانت مشهورة عند قومه قبل بعثته فقد كان يسمى بالأمين وهو الذي وضع الحجر الأسود مكانه. في الخبر المشهور عندما تنازعت قبائل العرب فيمن يضع الحجر الأسود مكانه فاتفقوا على أن أول من يدخل إلى الحرم تلك الساعة هو الذي يضع الحجر فدخل محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذا الأمين رضينا به، وكان ذلك الأمر قبل نبوته.

معاشر المسلمين: ومن الفوائد المأخوذة من هذا أن تمثل الداعية بحسن الأخلاق واجتناب سيئها، مما يعين على قبول دعوته وثقة الناس فيه. اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.